

Nerouz Satik**

نيروز ساتيك*

المتخيلات الاجتماعية الحديثة***

Modern Social Imaginaries

| | |
|-------------|---|
| الكتاب | : المتخيلات الاجتماعية الحديثة |
| الكاتب | : تشارلز تايلر |
| المترجم | : الحارث النبهان |
| مكان النشر | : الدوحة / بيروت |
| الناشر | : المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات |
| تاريخ النشر | : ٢٠١٥ |
| عدد الصفحات | : ٢٥٤ |

إضافة إلى المدخل القصير الذي يتصدر الكتاب، ينقسم هذا الأخير إلى أربعة عشر فصلاً ناقش فيها الكاتب أهم القضايا التي خاضت فيها أوروبا منذ مطلع نهضتها الحديثة، يسرد فيها رواية المتخيلات الاجتماعية الحديثة الغربية، وأهمها النظام الأخلاقي الحديث وآليات تشكيله وتطوره، معتمداً في ذلك على مفهوم مركزي هو مفهوم «المتخيل الاجتماعي».

من الناحية النظرية، يستند تشارلز تايلر في هذا الكتاب على أفكار يورغن هابرماس وبنديكت أندرسون وآخرين، ليعيد نقاش بعض من مسائل الحدائث الأصلية والمعاصرة. لكن بعد محاولة التوصل إلى تعريف واضح لفهم الذات الغربية،

صدرت عن المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات خلال سنة ٢٠١٥ ترجمة، من الإنكليزية إلى العربية، لكتاب المتخيلات الاجتماعية الحديثة، وهو عمل مهم للغاية بالنسبة إلى المعرفة الإنسانية بصفة عامة، وبالنسبة إلى الحالة العربية بصفة خاصة، وذلك من وجهين: المنعطف التاريخي الذي يمر به العرب منذ سنة ٢٠١١ في أبعاد شتى، وأدوات النقاش المهمة التي يوفرها الكتاب بشأن قضيتين تخترقهما السياسة والثقافة بقوة، وتشحنهما في الحالة العربية بشكل ذاتي الوجدانية والمعيارية: هما قضيتا الحدائث والهوية.

* باحث في المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

** Researcher at the Arab Center for Research and Policy Studies.

*** Charles Taylor, *Modern Social Imaginaries*, Duke University Press, 2003..

لاستكشاف اندماجها في المتخيل الاجتماعي الحديث. ويشرح كيف تطور مفهوم اللباقة إلى أن أصبح متصلًا بمفهوم جديد هو المدنية. ويوضح أن ما دفع الوعي الجمعي للنخبة إلى داخل إطار المتخيل الاجتماعي الحديث، هو تطورات المخالطة الاجتماعية الجديدة على أوروبا في القرن الثامن عشر؛ فقد صار للمجتمع المهذب نوع جديد من وعي الذات.

يضع الكاتب في الفصل الرابع الثورة الغربية في المتخيل الاجتماعي ضمن السياق الأكثر اتساعًا للتطور الثقافي - الديني، وذلك من خلال شرح الآلية التي تشكل فيها النظام الاجتماعي الأوروبي الحديث وفقًا لمتطلبات النظام المسيحي، بتخليصه من جميع مظاهر السحر والشعوذة، بمعنى الانعتاق الجماعي للأفراد في أوروبا من الوهم والسحر السائدين في العصور السابقة؛ فقد أثرت المسيحية أو المسيحية الرواقية في إعادة صنع المجتمع والإتيان بـ «الفرد في العالم» نتيجة حركة الإصلاح الديني في المسيحية اللاتينية في البروتستانتية أولًا، والتي أثرت في الكاثوليكية أيضًا، فانتقل الإنسان الأوروبي من وصفه عضوًا في جماعة دينية إلى فرد في العالم، وهو ما ساعد في دفع المتخيل الأخلاقي أولًا، ثم الاجتماعي، في اتجاه الفردانية الحديثة. أطلق الكاتب على هذه العملية «الانعتاق الكبير»، وذلك بأخذ الفرد موقعه على نحو ما بين بشر آخرين، وهو ما يحقق الانعتاق من المقدس الاجتماعي، ويقيم علاقة جديدة مع الله، بصفته الخالق المصور.

خلال الفصول الخامس - الثامن، يتناول تايلر ثلاثة مداخل أساسية تتعلق بالحدثة لفهم الذات الاجتماعية، وهي الاقتصاد والمجال العام والممارسات الديمقراطية. بلغ الاقتصاد في أوروبا مكانة مركزية في أواخر القرن

يحاول في هذا الكتاب أن يرسم مخططًا مجملًا لأشكال المتخيل الاجتماعي التي وسمت الحدثة الغربية، من دون أن يمس صنوف الحداث البديلة في الزمن الحاضر.

تناول الكاتب في الفصل الأول من الكتاب تطور النمط الأول من مفهوم النظام الأخلاقي عند هوغو غروتوس وجون لوك. وشرح كيفية تسربه من دائرة المفكرين إلى ميادين الخطاب العام، وتحوله من كونه فكرة نظرية نخوية إلى جزء من المتخيل الاجتماعي. ويوضح أن النمط الثاني من النظام الأخلاقي لم ينتظم إلا مع مفهوم التراتبية في المجتمع. وهو ما لم يقبل به الفهم الحديث للنظام الأخلاقي، والذي يقوم على المنفعة المتبادلة بين الأفراد، أو على الأقل بين فاعلين أخلاقيين مستقلين عن النظم التراتبية الكبيرة. كما يشتمل على المنافع في الحياة ووسائل الحياة، لكنه لا يسان إلا بالحرية والتساوي بين جميع الأفراد.

يقارن تايلر في الفصل الثاني بين النظرية الاجتماعية والمتخيل الاجتماعي، ويوضح الفوارق بينهما؛ فالمتخيل الاجتماعي هو المخزون من الأفعال الجمعية الموجودة في متناول جماعة ما ضمن الجماعة، وتعرف كيفية القيام بها، وهو «شيء أوسع من الصيغ الفكرية التي قد يعتمدها الناس عندما يفكرون في الواقع الاجتماعي بعيدًا عن الانخراط فيه»، بينما تتخلل النظرية الحديثة للنظام الأخلاقي في المتخيل الاجتماعي على نحو تدريجي وتقوم بتغييره، فيتشكل المتخيل الاجتماعي من تطور لمنظومة من الممارسات، ويساهم تدريجيًا في إقامة متخيل اجتماعي جديد.

يرفض الكاتب في الفصل الثالث أن يُصنف تلقائيًا بأنه من أنصار المثالية، كونه لا ينسب إلى الأفكار قوة مستقلة في التاريخ. ومن ثم يعرّج على التطور التاريخي للنخبة في أوروبا الغربية،

يخصص تايلر الفصلين العاشر والحادي عشر لنقاش كيفية ترسيخ النظام الشامل، وذلك من خلال مجتمع النفاذ المباشر والفاعلية وإضفاء الطابع الموضوعي. ويتحقق مجتمع النفاذ المباشر عندما يتمكن الفرد الواعي بذاته من أن يتخيل نفسه متممياً إلى كيانات أكثر اتساعاً وأكثر اتساعاً بالصفة اللاشخصية: أي الدولة، والحركة، والجماعة الإنسانية، بمعنى الانتقال من هويات «شبكة» أو «علائقية» إلى هويات قاطعة. أما الفاعلية وإضفاء الطابع الموضوعي، فلا يتحققان إلا مع إعلانات الحقوق وموثيقها التي صارت تسمى حقوق الإنسان بدلاً من الحقوق الطبيعية.

في الفصل الثاني عشر، يشرح المؤلف أن الانتقال إلى العالم الأفقي، عالم النفاذ المباشر والمتداخل مع الانغمار في الزمن العلماني، يأتي معه بإحساس مختلف يتموضع في الزمان والمكان، فهو يأتي بأشكال مختلفة من فهم التاريخ وأنماط السرد. ومن ثم يناقش الكاتب في الفصل الثالث عشر فكرة دقيقة لها علاقة بمسار تحليله هي: العلمانية. ويوضح أن المتخيل الاجتماعي هو نهاية نوع بعينه من حضور الدين أو الإلهي في المجال العام، وهو نهاية احتكار الدين للسلطة السياسية والفاعليات العامة. فالحدثة علمانية بالضرورة، لا بمعنى الكلمة الفضفاض، أي غياب الدين، بل بمعنى أن الدين يحتل مكاناً مختلفاً متوافقاً مع الإحساس بأن الأفعال الاجتماعية كلها تحدث في زمن دنيوي.

بديلاً من الخاتمة، يدعو تشارلز تايلر في الفصل الأخير الأكاديميين إلى الكف عن النظر إلى الحدثة باعتبارها عملية وحيدة تكون أوروبا نموذجاً لها، من دون القطيعة معها، بل التعامل معها على أنها نموذج من نماذج متعددة.

الثامن عشر، حتى أنه انتشرت فكرة أن التجارة والاقتصاد هما السبيل إلى السلم وضمن الأمن. ولعل أول نقلة كبيرة أحدثتها الأفكار الاقتصادية الجديدة في النظرية وفي المتخيل الاجتماعي، تتمثل في رؤية المجتمعات الغربية باعتبارها اقتصاداً، أي منظومة متداخلة من أنشطة الإنتاج والتبادل والاستهلاك، وهو ما يشكل نظاماً له قوانينه وآلياته الخاصة. فكان البعد الاقتصادي أول بُعد من أبعاد المجتمع المدني يتمكن من إنجاز هوية مستقلة عن الكيان السياسي، ومن ثم تبعه المجال العام. ويعتبر الكاتب أنه يجب فهم المجال العام بالاستناد إلى الصيرورة الاقتصادية، والكنسية، والعاطفية الحميمة في أوروبا، أي باعتباره جزءاً من التكوينات العلمانية، وخارج السياسة في المجتمع، فأصبح المجال العام الأوروبي فضاء فوق موضوعي جديداً يستطيع فيه أفراد المجتمع تبادل الأفكار والوصول إلى تصور مشترك.

ساعد المجال العام في تغذية الصورة الجديدة للسيادة الشعبية، وهو ما أدى إلى ظهور أشكال جديدة من الفعل السياسي تجلت في الحراك الشعبي الغربي في القرن الثامن عشر، وخاصة الثورتين الفرنسية والأميركية. فأتتج تدرجياً السيادة الشعبية.

ينبّه الكاتب في الفصل التاسع إلى أن أنماط المتخيل الاجتماعي تبقى محصورة في الأوساط الثقافية، إذا لم تشهد أبعاد الحياة الاجتماعية - السياسية تحولاً أيضاً؛ فالنظام الشامل لا يتشكل إلا مع تداخل علاقات التراتبية المشخصنة، وتحولها تحولاً كاملاً إلى مجتمع قائم على المساواة غير الشخصية، لكن ليس بطريقة قسرية، وإنما من خلال تغيير فهم المستويات الأخرى والمجالات الأخرى في الحياة الاجتماعية.



روزماري كرومبتون

الطبقات والتراصف الطبقي

ترجمة: محمود عثمان حداد - غسان رملوي

تتميز جميع المجتمعات المركبة، بدرجات متفاوتة، بتوزيع غير متساو للمكافآت المادية والرمزية. وتشكل دراسة أسباب اللامساواة ونتائجها، التركيز الأساس بالنسبة إلى الباحثين والمنظرين في الطبقة والشرائح الطبقية. وكثيراً ما كانت المفاهيم والنظريات والمقاييس التي طورت لمعالجة هذه المسائل موضوعاً للنقاشات المطولة، على الصعيدين الاجتماعي والسياسي.

وينتشر التمرکز التراتبي في جميع الأنساق الاجتماعية والاقتصادية، سواء على المستوى الكلي/الماكروي أم المستوى الجزئي/الميكروي، نتيجة مجموعة واسعة من العوامل، بما فيها درجة التقدير الاجتماعي، والمكانة والجنس، والعرق والعمر، والتخصص المهني والتحصيل العلمي، والدخل وموارد مادية أخرى، وقد يكون الانتماء الديني مهماً في مجتمعات دون غيرها، بل إن عديداً من العلماء الاجتماعيين يصرون على التمييز بين "الطبقة" و"المكانة الاجتماعية".

لكن فكرة "الطبقات" أصبحت أحد المفاهيم الأساسية التي تمكننا من أن نبدأ من خلالها بفهم عالمنا الاجتماعي. وفي عالمنا المعاصر، تشكل المنظمات ذات الأصول الطبقية، أي الهيئات التي تحدي تمثيل الفئات الاجتماعية والسياسية ومصالحها، المصدر الحيوي لعدد من التغيرات والتحولات التي ميزت مجتمعات العصر الحديث. وترى المؤلفة أن فهم التفاوت الاجتماعي واستمراره ربما يستلزمان العمل عبر منظورات متضاربة، فغالباً ما تبدو المقاربات المختلفة للطبقات والتراصف معاكسة كلياً بعضها لبعض، لكن إذا كنا على استعداد للتعامل معها جميعاً، فإننا نستطيع أن نسلط الضوء على أجزاء مختلفة من الكل.